معرفة الله

ALLAH KNOWING

KNOWINGALLAH.COM

هل الله موجود؟

مقال علمي هادئ

لنقاش ظاهرة الشك في وجود الله عز وجل

إعداد:

ماجد بن سليمان

www.knowingallah.com

هل الله موجود؟

(مقالٌ علمي هادئ لنقاش ظاهرة
الشك في وجود الله)

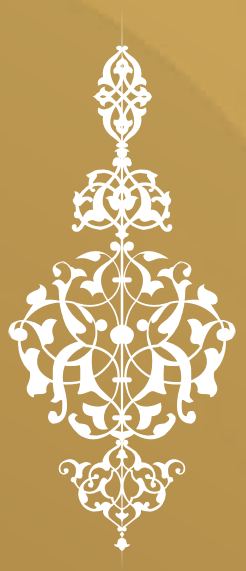

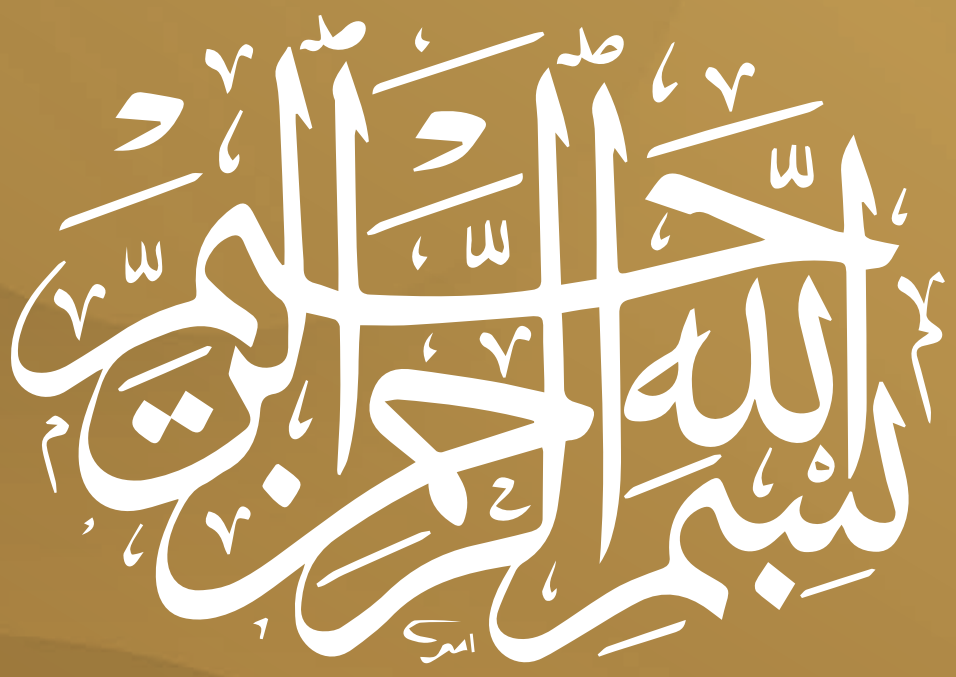

ربِّ يَسِّر وأعِن

دل على وجود الله تعالى أربعة أمور:

الفِطرة والعقل والشرع والحِـــس.

● أما **دلالة الفطرة** على وجود اللّه تعالى فإن كل مخلوق قد فُطِر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ومصداق هذا من كتاب اللّه قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾. (١)

ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه طارئ، لقول النبي (صلى اللّه عليه وسلم): **ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبـــواه يهودانـــه أو ينصرانـــه أو يُمجِّسانه.** (٢)

ولهذا نجد أن الإنسان بطبيعته وفطرته وبدَهيته إذا أصابه الضُّر قال: (يا اللّه)، وقد ذُكر عن بعض الملاحدة أنه إذا أصابه شيء قال على فلتات لسانه: (يا اللّه) من غير أن يشعر، لأن فطرة الإنسان تدله على وجود الرب عز وجل.

فهذه الآية تدل على أن الإنسان مجبول بفطرته على وجود اللّه.

وقد أقر المشركون في عهد النبي (صلى اللّه عليه وسلم) بوجود اللّه تعالى، كما قال تعالى عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ (٣)، والآيات في هذا الباب كثيرة.

(١) رواه البخاري (١٣٥٩) عن أبي هريرة رضي اللّه عنه.

(٢) سورة الزخرف: ٨٧

(٣) سورة الطور: ٣٥

● وأما **دلالة العقل** على وجود اللّه تعالى فلأن هذه المخلوقات سابِقها ولاحِقها لابد لها من خالقٍ أوجدها، إذ لا يمكن أن توجِد نفسَها بنفسِها لأن العدمَ لم يخلُق نفسه، فإنه قبلَ وجودِه معدوم، فكيف يكون خالقًا لغيره من الموجودات؟!

● **كذلك فإن وجود تلك المخلوقات صُدفة بغير مُوجِد ممتنع لسببين؛**

◀ **الأول:** أن كل حادِثٍ لابد له من مُحْدِث، دلَّ على ذلك العقل والشرع، قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ (١)

◀ **والثاني:** أن وجودها على هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض، بلا اضطراب ولا تصادم؛ يمنع منعًا باتًا أن يكون وجودها صدفةً من غير مُوجِد، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده، فكيف يكون منتظمًا حال بقائه وتطوره؟!

استمع إلى قول اللّه تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٢) (٣)

(١) سورة الطور: ٣٥

(٢) سورة يس: ٤٠

(٣) انظر في هذا الباب كتاب «إبداع الخالق في نظم خلقه دليل على وحدانيته»، للشيخ عبد العزيز بن عبد اللّه الزهراني، الناشر: دار التوحيد – الرياض

يُذكر عن **أبي حنيفة** رحمه الله – وكان معروفا بالذكاء – أنه جاءه قوم من الملاحدة الدَّهرية [١] ويُسمَّون بالسُّمَنِّية [٢] الذين ينكرون وجود الخالق جل وعلا، وكان أبو حنيفة رحمه الله سيفًا على الدَّهرية، وكانوا ينتهزون الفرصة ليقتلوه، فبينما هو يومًا في مسجده قاعدٌ إذ هجم عليه جماعة بسيوف مسلولة وهموا بقتله، فقال لهم: أجيبوني عن مسألة ثم افعلوا ما شئتم.

فقالوا له: هات.

فقال: ما تقولون في رجل يقول لكم: إني رأيت سفينة مشحونة بالأحمال، مملوءة من الأثقال، قد احتَوَشَتْها [٣] في لُـجَّةِ البحر [٤] أمواجٌ متلاطمةٌ، ورياحٌ مختلفةٌ، وهي من بينها تجري مستوية، ليس لها ملاح يجريها، ولا متعهد يدفعها، هل يجوز ذلك في العقل؟

قالوا: لا، هذا شيء لا يقبله العقل.

فقال أبو حنيفة: يا سبحان الله، إذا لم يجز في العقل سفينة تجري في البحر، مستوية من غير متعهد ولا مُجرٍ؛ فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها وتغير أعمالها وسعة أطرافها وتبايُن أكنافِها [٥] من غير صانع وحافظ؟!

فبكوا جميعًا وقالوا: صدقتَ، وأغمدوا سيوفهم وتابوا.

---

(١) الدَّهري – بفتح الدال وتشديدها – هو الملحد الذي لا يؤمن بالآخرة، والدُّهري – بضم الدال وتشديدها – هو الرجل المُسِن. انظر «لسان العرب»، مادة: دهر.

(٢) السُّمَنِّيَّةُ قومٌ من أهل الهند دَهرِيُّون، وقال الجوهري: فِرقة من عبدة الأصنام تقول بالتناسخ وتنكر وقوع العلم بالأخبار. انتهى المراد من «لسان العرب»، مادة: سمن.

(٣) أي أحاطت بها وجعلتها في وسَطِهَا. انظر «لسان العرب»، مادة: حوش.

(٤) لُـجَّة البحر أي وسطه حيث يكثر ماؤه ولا تُـرى اليابسة منه.

(٥) أي أطرافها.

ومقصود **أبي حنيفة** الاستدلال على وجود اللّه باستحالة جريان السفينة من مكان ووصولها إلى مكان آخر بلا رُبَّانٍ يقودها، فكيف بهذا الكون العظيم تسير فيه الأفلاك بغير اضطراب، ثم يأتي من يقول: إنه يجري صُدفة بدون تدبير من أحد؟!

هذا لا يُعقل! بل لابد له من صانع.

وسُئل **الشافعي** رضي اللّه عنه: ما الدليل على وجود الصانع؟

فقال: ورقة التوت، طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد عندكم؟

قالوا: نعم.

قال: فتأكلها دودة القز(١) فيخرج منها الإبريسم(٢)، والنحل فيخرج منها العسل، والشاة فيخرج منها البَعْر(٣)، ويأكلها الظباء فيخرج منها المِسْك، فمن الذي جعل هذه الأشياء كذلك مع أن الطبع واحد؟!

فاستحسنوا منه ذلك وأسلموا على يده، وكان عددهم سبعة عشر.

ومقصود **الشافعي** الاستدلال على وجود اللّه بهذا التدرج في الخلق، ثم التنوع فيه، فورقة التوت تأكلها دودة القَز،

(١) القز هو الحرير على الحال التي يكون عليها عندما يُستخرج، ودودة القز أي دودة الحرير التي تنسج الحرير. انظر «المعجم الوسيط».

(٢) الإبريسم هو أحسن الحرير. انظر «المعجم الوسيط».

(٣) البعرة هي رجيع الغنم والإبل.

فيخرج منها الإبريسم، ثم تأكلها ثلاثة أنواع من الحيوانات، فيخرج من كل حيوان شيء مختلف عن الآخر، فهل يُعقل أن هذا كان صدفة بدون تدبير من أحد؟!

هذا لا يُعقل! بل لابد له من صانع.

وضرب **أحمد بن حنبل** رضي اللّه عنه مثلًا قلعة حصينة ملساء، لا فُرجة فيها، ظاهرها كالفضة المذابة، وباطنها كالذهب الإبريز(١)، ثم انشقت الجدران، وخرج من القلعة حيوان سميع بصير.
وقد عَنى بالقلعة: البيضة، وبالحيوان: الفرخ.

ومقصود **أحمد بن حنبل** الاستدلال على وجود اللّه بخروج الفرخ من البيضة، التي كانت كالقلعة له، فخرج منها سميعًا بصيرًا، فَهل يُعقل أن وجود البيضة وخروج الفرخ منها كان صدفة بدون تدبير من أحد؟!

هذا لا يُعقل! بل لابد له من صانع.

وسأل هارون الرشيد **مالكًا** عن وجود الصانع، فاستدل على وجود الصانع باختلاف الأصوات وتردد النغمات وتفاوت اللغات.

فهذه نقولات عن الأئمة الأربعة في هذا الباب.

(١) الإبريز هو الذهب الخالص. انظر «المعجم الوسيط».

وسُئل أعرابي فقيل له: بم عرفتَ ربك؟ فقال: البَعْرة تدل على البعير، والروث على الحمير، والأثر يدل على المسير، فسماءٌ ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا تدل على السميع البصير؟

ورؤي ابن هانئ[١] في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غَفَرَ لي بأبيات قلتها في النَّرجس، وهي:

تأمَّل في نبـــاتِ الأرض وانظر
إلى آثارِ ما صنـــع المليـــكُ

عيونٌ مِن لُجينٍ[٢] شاخصـاتٌ[٣]
بأحداقٍ[٤] كما الذهبُ السبيكُ[٥]

على قُضُبِ الزَّبرجَـدِ شاهداتٌ[٦]
بأن الله ليس له شريـــكُ

وأن مُحمَّدًا عبـدٌ رســـولٌ
إلى الثقلين[٧] أرسله المليـكُ[٨]

(١) وهو المُكنَّى بأبي نواس.
(٢) اللجين هو الفضة، شبَّه الناظم زهرة النبات بها لأنها تشبه الفضة في لونها. «انظر «لسان العرب»، مادة: لجن.
(٣) يقال: شَخَصَ الرجل ببصره إذا فتح عينيه وحدَّ نظره ورفع جفنيه فلم يطرِف، وقد وصف الناظم بعض الأزهار في إحداقها بأنها شاخِصات كعين الإنسان إذا شخصت وأحدقت ببصرها. انظر «لسان العرب»، مادة: شخص.
(٤) الحدَقة تطلق على حدقة العين وهي سوادها، وقد شبَّه الناظم تلك الأزهار بالأحداق. انظر «لسان العرب»، مادة: حدق.
(٥) سبيك أي مسبوك، وهو الذهب المفرغ في قالَب. انظر «لسان العرب»، مادة: سبك.
(٦) قُضُب جمع قضيب، والمقصود غصن النبات، والزبرجد هو الزُّمُرُّد، جوهر معروف، وقد وصف الناظم الغصن بالزمرد للمعانه وبريقه وبهاء منظره. انظر «لسان العرب»، مادة: «قضب»، و «زبرجد»، وكذا «مختار الصحاح» للرازي، مادة: «زبرجد».
(٧) الثقلان هما الإنس والجن.
(٨) ذَكر بعض المفسرين هذه القصص عن الشافعي وأحمد وهارون الرشيد وأبي نواس عند تفسير قوله تعالى في أول سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾. كما ذكر هذه الشواهد الفخر الرازي في الدلالة على وجود الصانع في كتابه «مفاتيح الغيب» (٢/١٠٨ – ١٠٩)، الناشر: دار الفكر، ط ١، سنة ١٤٠١ هـ .

ومن عجائب خلق اللّه البعوضة، فقد أودع اللّه فيها من الحِكم الشيء الكثير، فأودع اللّه فيها قوة الحافظة والفكر، وحاسة اللمس والبصر والشم، ومنفذ الغذاء، وأودع فيها جوفًا وعروقًا ومخًّا وعظامًا، فسبحان من قدَّر فهدى، ولم يترك شيئًا سُدى.

قال **أبو العلاء المَعَرِّي** مبتهلًا:

يا من يرى مدَّ البعوضِ جناحها
في ظلمةِ الليلِ البهيمِ[١] الأليلِ[٢]

ويرى مناطَ[٣] عروقِها في نَحرِها
والمُخَّ من تلك العظامِ النُّحَّلِ[٤]

ويرى خَرير الدم في أوداجِها[٥]
متنقِّلًا من مفصلٍ في مفصلِ

ويرى وصول غذى الجنين ببطنها
في ظلمةِ الأحشا بغير تَمَقُّلِ[٦]

ويرى مكان الوطءِ من أقدامِها
في سيرها وحثيثها المُستعجلِ

(١) البهيم هو الأسود الذي لا يخالطه لون آخر. انظر «اللسان»، مادة: بهم.
(٢) أليل أي شديد الظلمة. انظر «اللسان»، مادة: ليل.
(٣) المناط مِن ناطَ أي علَّق، يقال: ناطَ سِلاحه بالشجرةِ أي علقه عليها، والمناط هو ما يُعلَّق عليه الشيء، ومناط العروق في البيت المذكور هو ما تلتحم فيه العروق من جوانبها كأنها معلقة بها.
(٤) النُّحَّلُ جمع نَحِيل أي رقيق ودقيق. انظر «لسان العرب»، مادة: نحل.
(٥) الودْج عرق يجري فيه الدم. انظر «لسان العرب»، مادة: ودج.
(٦) المُقلة هي سواد العين وبياضها، والتمقل هو تقليب العين في المنظور إليه وتحديق النظر فيها، يقال: (تمقل في البضاعة) أي قلَّب نظره فيها، ومقصود الناظم أن اللّه تعالى يرى ما في أحشاء البعوضة بغير كلفة.

ويرى ويسمعُ حِسَّ ما هو دونَـها

في قـــاع بحـــرٍ مظلمٍ متهوِّلِ (١)

امنُن عليَّ بتوبةٍ تَمحو بها

ما كان منِّي في الزمـــانِ الأولِ (٢)

وعلى هذا فيقال لمن جحد وجودَ اللّه في هذه الأزمنة: هل ما أُنتج من الطائرات والصواريخ والسيارات والآلات بأنواعها محضُ صُدفة؟

ولو حدَّثك شخصٌ عن قصرٍ مَشيدٍ، أحاطت به الحدائق، وجرت بينها الأنهار، ومُلئ بالـفُرُشِ والأسِرَّة، وزُيِّـــن بأنواع الزينة من مُقوِّماته ومُكمِّلاته، وقال لك: إن هذا القصر وما فيه من كمال قد أوجد نفسه، أو وُجد هكذا صدفة بدون مُوجد؛ أكنتَ مُصَدِّقُه؟ الجواب: لا، قطعًا.

أيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه وسمائه وأفلاكه وأحواله ونظامه البديع الباهر قد أوجد نفسَه، أو وُجد صدفةً بدون مُوجِد؟!

والحاصل أنه إذا لم يمكن أن توجِد هذه المخلوقاتُ نفسَها بنفسها، ولا أن توجَد صُدفة؛ تعيَّن أن يكون لها موجِد، وهو اللّه رب العالمين.

(١) أي كثير الأهوال.

(٢) ذكرها شهاب الدين أحمد الأبشيهي في كتابه «المستطرف في كل فن متستظرف» (ص ٣٧٤)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١، سنة ١٤١٣ هـ .

وكذا ذكرها الزمخشري مختصرة في تفسيره المعروف بـ «الكشاف» (ص ١١٦٨)، بتحقيق: مصطفى حسين أحمد، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط ٣، سنة ١٤٠٧ هـ.

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي في سورة الطور، حيث قال: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾[1]، يعني أنهم لم يُخلَقوا من غير خالق، ولا هم الذين خلقوا أنفسَهم، فتعيَّن أن يكون خالقهم هو الله تبارك وتعالى.

ولهذا لما سمع جبير بن مطعم رضي الله عنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾[2]، وكان جبير يومئذ مشركًا؛ قال: كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي.[3]

(١) سورة الطور: ٣٥

(٢) سورة الطور: ٣٥ – ٣٧

(٣) رواه البخاري مفرقًا، (٤٨٥٣)، (٤٠٢٣)

● وأما **دلالة الشرع** على وجود اللّه تعالى؛ فالكتب السماوية كلها تنطق بذلك، ولأن ما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليل على أنها من ربٍّ حكيم عليم بمصالح خلقه، وكذا ما جاءت به من الأخبار الكونية التي تشهد الواقع بصدقها دليلٌ على أنها من ربٍّ قادر على إيجاد ما أخبر به.

وأيضًا فإن ائتلاف القرآن وعدم تناقضه وتصديق بعضه بعضًا؛ يدل دلالة قاطعة على أنه من رب حكيم عليم، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[1]، فهذا دليل أيضًا على وجود مَن تكلم بالقرآن وهو اللّه تعالى.

(١) سورة النساء: ٨٢

● وأما **دلالة الحس** على وجود الله فمن وجهين:

أحدهما: أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين وغوث المكروبين ما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى، إذ إن إجابة الدعاء تدل على أنِ هناك ربًّا سمع دعاء مَن دعاه فأجابه، فإنه لم يدع إلا الله، قال الله تعالى:

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ﴾ (٢)

وعن **أنس بن مالك** رضي الله عنه أن رجلًا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر، ورسولُ الله (صلى الله عليه وسلم) قائم يخطب، فاستقبل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قائمًا فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا.

قال: فرفع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يديه فقال: اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا.

قال أنس: ولا والله، ما نرى في السماء من سحابٍ ولا قَزَعَةٍ (٣) ولا شيئًا، وما بيننا وبين سَلْع (٤) من بيتٍ ولا دار، قال:

(١) سورة الأنبياء: ٧٦

(٢) سورة الأنفال: ٩

(٣) القزعة هي القطعة من الغيم. انظر «النهاية»

(٤) سلع؛ جبل بالمدينة

فطلعت من ورائه[١] سحابة مثل التُّرسِ[٢]، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، قال: واللّه ما رأينا الشمس سَبْتًا[٣].

ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) قائم يخطب، فاستقبله قائمًا فقال: يا رسول اللّه، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع اللّه يمسكها.

قال: فرفع رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلم) يديه ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام[٤] والجبال والظِّراب[٥] والأودية ومنابت الشجر.
قال: فانقطعت، وخرجنا نمشي في الشمس.[٦]

وما زالت إجابة الداعين أمرًا مشهودًا لمن صدق في لجوئه إلى اللّه تعالى وأتى بأسباب الإجابة.

(١) أي من وراء سلع.
(٢) الترس قطعة من الحديد مستديرة يتَّقي بها المحارب السهام. انظر «النهاية».
(٣) قال ابن الأثير في «النهاية»: قيل: أراد أسبوعًا، من السبت إلى السبت، وقيل: أراد بالسبت مدة من الزمان قليلة كانت أو كثيرة.
(٤) الآكام جمع أكمة وهي الرابية. انظر «النهاية». قلت: والرابية معروفة، وهي المكان المرتفع، وتسمى بالربوة أيضًا.
(٥) الظراب جمع ظرِب، وهو الجبل الصغير. انظر «النهاية».
(٦) أخرجه البخاري (١٠١٩) ومسلم (٨٩٧).

الوجه الثاني: أن آيات الأنبياء التي تسمى بالمعجزات ويشاهدها الناس أو يسمعون بها؛ برهان قاطع على وجود مرسلِهم، وهو اللّه تعالى، لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها اللّه تعالى تأييدًا لرسله ونصرًا لهم.

مثال ذلك: آية موسى (عليه السلام) حين أمره اللّه تعالى أن يضرب بعصاه البحر، فضربه فانفلق اثني عشر طريقًا يابسًا، والماء بينها كالجبال، قال اللّه تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾[1].

ومثال ثانٍ: آية عيسى (عليه السلام) حيث كان يحيي الموتى، ويخرجهم من قبورهم بإذن اللّه، قال اللّه تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾[2].

(١) سورة الشعراء: ٦٣

(٢) سورة المائدة: ١١٠

ومثال ثالث: حصل لمحمد (صلى الله عليه وسلم) حين طلبت منه قريش آية، فأشار إلى القمر، فانفلق فرقتين فرآه الناس، وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾[1]، فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى تأييدًا لرسله ونصرًا لهم؛ تدل دلالة قطعية على وجوده تعالى.

(١) سورة القمر: ١- ٢

ولما كان الإقرار بوجود اللّه أمرًا فطريًّا دل عليه الفطرة والحس؛ قالت الرسل لأقوامهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[1]، **قال ابن كثيـــر رحمه الله في تفسير هذه الآية:**

يخبـر تعالى عما دار بين الكفار وبين رسلهم من المجادلة، وذلك أن أممهم لما واجهوهم بالشك فيما جاءوهم به من عبادة اللّه وحده لا شريك له؛ قالت الرسل: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾، وهذا يحتمل شيئين، أحدهما: أفي وجوده شك؟ فإن الفِطَر شاهدة بوجوده ومجبولة على الإقرار به، فإن الاعتراف به ضروري في الفِطر السليمة، ولكن قد يَعرِض لبعضها شك واضطراب، فتحتاج إلى النظر في الدليل المُوصل إلى وجوده، ولهذا قالت لهم الرسل ترشدهم إلى طريق معرفته بأنه ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، الذي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سَبق، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليهما، فلا بد لهما من صانع وهو اللّه لا إله إلا هو، خالق كل شيء وإلهه ومليكه.

(١) سورة إبراهيم: ١٠

والمعنى الثاني في قولهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ أي أفي إلٰهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك، وهو الخالق لجميع الموجودات ولا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له؟ فإن غالب الأمم كانت مقرَّة بالصانع ولكن تعبد معه غيرَه من الوسائط التي يظنونها تنفعهم أو تقربهم من اللّه زلفى. انتهى.

وقال الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي رحمه الله في تفسير نفس الآية:

أي فإنه أظهر الأشياء وأجلاها، فمَن شك في اللّه، فاطر السموات والأرض، الذي وجود الأشياء مستند إلى وجوده؛ لم يكن عنده ثقة بشيء من المعلومات حتى الأمور المحسوسة، ولهذا خاطبتهم الرسل خطابَ مَن لا يُشك فيه، ولا يصلح الريب فيه.[1]

(١) «تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان»

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1].

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية:

أخبر تعالى أن في هذه المخلوقات العظيمة آيات، أي أدلة على وحدانية الباري وإلٰهته وعظيم سلطانه ورحمته وسائر صفاته، ولكنها: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي: لِمن لهم عقول يُعمِلونها فيما خُلِقت له، فعلى حسب ما مَنَّ الله على عبده من العقل؛ ينتفع بالآيات ويعرفُها بعقله وفكره وتدبُّره، ففي: ﴿خَلْقِ السَّمَاوَاتِ﴾ في ارتفاعها واتساعها وإحكامها وإتقانها، وما جعل الله فيها من الشمس والقمر والنجوم، وتنظيمها لمصالح العباد، وفي خلق الْأَرْض مهادًا للخلق، يمكنهم القرار عليها والانتفاع بما عليها والاعتبار؛ ما يدل ذلك على

(١) سورة البقرة: ١٦٤

انفراد اللّه تعالى بالخلق والتدبير، وبيانِ قدرته العظيمة التي بها خلَقها، وحكمتِه التي بها أتقنها وأحسنها ونظَّمها، وعِلمِه ورحمتِه التي بها أودع ما أودع من منافع الخلق ومصالحهم، وضروراتهم وحاجاتهم.

وفي ذلك أبلغ الدليل على كماله واستحقاقه أن يُفرد بالعبادة، لانفراده بالخلق والتدبير، والقيام بشئون عباده.

﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ وهو تعاقبهما على الدوام، إذا ذهب أحدهما خلَفه الآخر، وفي اختلافهما في الحر والبرد والتوسط[١]، وفي الطول والقِصر والتوسط[٢]، وما ينشأ عن ذلك من الفصول التي بها انتظام مصالح بني آدم وحيواناتهم وجميع ما على وجه الأرض من أشجار ونوابت، كل ذلك بانتظام وتدبير وتسخير تنبهر له العقول، وتعجز عن إدراكه من الرجال الفحول؛ ما يدل ذلك على قدرة مُصرِّفِها، وعلمه وحكمته، ورحمته الواسعة، ولطفه الشامل، وتصريفه وتدبيره الذي تفرد به، وعظمته، وعظمة ملكه وسلطانه، مما يوجب أن يؤلَّه ويُعبَد، ويُفرد بالمحبة والتعظيم، والخوف والرجاء، وبذل الجهد في محابِّه ومَراضيه.

(١) أي الوقت الذي يكون فيه الطقس متوسطًا بين الحر والبرد.

(٢) أي الوقت الذي يكون فيه اليوم متوسطًا بين الطول والقِصر.

وفي: ﴿وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ وهي السفن والمراكب ونحوها، مِمَّا ألهم الله عبادَه صنعتها، وخلق لهم من الآلات الداخلية والخارجية ما أقدَرهم عليها.

ثم سخر لها هذا البحر العظيم، والرياح التي تحملها بما فيها من الرُّكَّاب والأموال والبضائع التي هي من منافع الناس، وبما تقوم مصالحهم وتنتظم معايشهم.

فمَن الذي ألهمهم صنعتها، وأقدرهم عليها، وخلق لهم من الآلات ما به يعملونها؟
أم مَن الذي سخر لها البحر، تجري فيه بإذنه وتسخيره، والرياح؟
أم مَن الذي خلق للمراكب البرية والبحرية النارَ والمعادن المُعينة على حملها، وحمْل ما فيها من الأموال؟

فهل هذه الأمور حصلت اتفاقًا؟ أم استقل بعملها هذا المخلوق الضعيف العاجز، الذي خرج من بطن أمه لا علم له ولا قدرة، ثم خلق له ربُّه القدرة، وعلَّمه ما يشاء تعليمه؟

أم المُسخِّر لذلك ربٌّ واحد، حكيم عليم، لا يُعجزه شيء، ولا يمتنع عليه شيء؟

بل الأشياء قد دانت لربوبيته، واستكانت لعظمته، وخضعت لجبروته.
وغاية العبد الضعيف أن جعله اللّه جزءًا من أجزاء الأسباب التي بها وُجِدت هذه الأمور العظام.

فهذا يدل على رحمة اللّه وعنايته بخلقه، وذلك يُوجب أن تكون المحبة كلها له، والخوف والرجاء، وجميع الطاعة والذل والتعظيم.

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ﴾ وهو المطر النازل من السحاب، (ڈ ڈ ڤ ڤ) فأظهرت من أنواع الأقوات وأصناف النبات ما هو من ضرورات الخلائق، التي لا يعيشون بدونها.

أليس ذلك دليلًا على قدرة مَن أنزله، وأخرج به ما أخرج؟ ورحمتِه ولطفه بعباده، وقيامه بمصالحهم، وشدة افتقارهم وضرورتهم إليه من كل وجه؟

أمَا يوجب ذلك أن يكون هو معبودَهم وإلٰـهَهم؟ أليس ذلك دليلًا على إحياء الموتى ومجازاتِهم بأعمالهم؟

﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾ أي في الأرض ﴿مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ أي: نشر في أقطار الأرض من الدواب المتنوعة ما هو دليل على قدرته وعظمته، ووحدانيته وسلطانه العظيم، وسخَّرها للناس، ينتفعون بها بجميع وجوه الانتفاع، فمنها ما يأكلون من لحمه، ويشربون من دُرِّه(١)، ومنها ما يركبون، ومنها ما هو ساعٍ في مصالحهم وحراستهم، ومنها ما يُعتبر به، ومنها أنه بثَّ فيها من كل دابة، فإنه سبحانه هو القائم بأرزاقهم، المتكفل بأقواتهم، فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها، ويعلم مستقرها ومستودعها(٢).

وفي: ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ باردة وحارة، وجنوبا وشمالًا، وشرقًا ودُبُورًا(٣) وبين ذلك، وتارة تثير السحاب، وتارة تؤلِّف بينه، وتارة تُلقِّحه، وتارة تدُرُّه(٤)، وتارة تمزقه وتزيل ضرره، وتارة تكون رحمة، وتارة تُرسَل بالعذاب، فمَن الذي صرَّفها

(١) أي مما يشربون مما تُدِرُّه من حليب.

(٢) أي: يعلم مستقر هذه الدواب، وهو المكان الذي تقيم فيه وتستقر فيه وتأوي إليه، ومستودعها: المكان الذي تنتقل إليه في ذهابها ومجيئها، وعوارض أحوالها. (تفسير السعدي، سورة هود: ٥).

(٣) الدبور ريح تأتي من جهة المغرب.

(٤) أي تجلبه.

هذا التصريف، وأودع فيها من منافع العباد ما لا يستغنون عنه، وسخَّرها ليعيش فيها جميع الحيوانات، وتُصلح الأبدان والأشجار والحبوب والنوابت إلا العزيز الحكيم الرحيم، اللطيف بعباده، المستحق لكل ذل وخضوع، ومحبة وإنابة وعبادة؟

وفي تسخير السحاب بين السماء والأرض على خِفته ولطافته يحمل الماء الكثير، فيسُوقه اللّه إلى حيث شاء، فيُحيي به البلاد والعباد، ويَروِي التُّــلُول(١) والوِهاد(٢)، ويُنزله على الخلق وقت حاجتهم إليه، فإذا كان يَضرهم كثرتُه أمسكه عنهم، فينزله رحمة ولطفًا، ويصرفه عناية وعطفًا، فما أعظم سلطانه، وأغزر إحسانه، وألطف امتنانه.

أليس من القبيح بالعباد أن يتمتعوا برزقه، ويعيشوا بِـبِــرِّهِ وهم يستعينون بذلك على مساخِطه ومعاصيه؟

أليس ذلك دليلًا على حلمه وصبره، وعفوه وصفحه، وعظيم لطفه؟

(١) الــتُّــلول جمع تل، وهو المرتفع من الرمل، وهو دون الجبل.

(٢) الوِهاد جمع وهدة وهي الأرض المنخفضة.

فله الحمد أولًا وآخرًا، وباطنًا وظاهرًا.

والحاصل أنه كلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات، وتغلغل فكرُه في بدائع المبتدعات، وازداد تأمله للصنعة وما أودع فيها من لطائف البر والحكمة؛ عَلِم بذلك أنها خُلِقت للحق وبالحق، وأنها صحائف آيات وكتب دلالات على ما أخبر به اللّه عن نفسه ووحدانيته، وما أخبرت به الرسل من اليوم الآخر، وأنها مُسخرات، ليس لها تدبير ولا استعصاء على مدبرِها ومصرفها، فتعرَّف أن العالم العلوي والسفلي كلهم إليه مفتقرون، وإليه صامِدون[1]، وأنه الغني بالذات عن جميع المخلوقات، فلا إله إلا اللّه، ولا رب سواه.

انتهى كلامه رحمه اللّه.

(١) صامدون أي قاصدون بإذعان.

همسة في أذن عاقل

تبين لك أيها الرجل العاقل والمرأة العاقلة أن هذا الكون الفسيح لا يمكن أن يوجد صُدفةً ثم يسير على هذا النظام البديع بدون ربٍّ يخلقه ويُدبره، فإذا تبين هذا فيجب علينا أن نؤمن بوجود هذا الرب العظيم الذي أخبرنا عن نفسه وعن صفاته في القرآن العظيم، ونعبده حق عبادته، لأنه المستحق لذلك.

تم المقال بحمد الله تعالى.

وكتبه:

ماجد بن سليمان الرسي

majed.alrassi@gmail.com

00966505906761

معرفة

ALLAH KNOWING

KNOWINGALLAH.COM

هل الله موجود؟

مقالٌ علمي هادئ

لنقاش ظاهرة الشك في وجود الله عز وجل

إعداد:

ماجد بن سليمان